

الزيارة الشرعية للقبور

ذكر بعد ذلك زيارة القبور: ثم الزيارة على أقسام ثلاثة يا أمّة الإسلام فإنما الزائر فيما أضمره في نفسه تذكرة بالآخرة ثم دعا له وللأموات بالعفو والصفح عن الزلات ولم يكن شد الرجال نحوها ولم يقل هجرا كقول السفها فتلك سنة أتت صريحة في السنن المثبتة الصحيحة هذه الزيارة الشرعية: أولاً: أن يكون الزائر يقصد تذكر الآخرة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- { كنت نهيتكم عن زيارة القبور؛ فزوروها فإنها تذكر الآخرة } - أي - تذركم بالآخرة، هذه زيارة شرعية، لم يكن يقصد إلا أن يتذكر الموت، ويتذكر ما بعد الموت، كذلك إذا قصد الدعاء للأموات، الدعاء له، والدعاء للأموات؛ وذلك لأن الأموات بحاجة إلى من آثار دعائه خير كثير؛ ولذلك علم النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه الدعاء للأموات؛ أن يقول الداعي إذا أتي إلى المقابر: { السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنما إن شاء الله يكم لاحقون، برحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، أنتم لنا سلف ونحن بالأثر، اللهم لا تحرمنا أجراهم، ولا تفتنا بعدهم، وأغفر لنا ولهم } ففي هذا دعاء لهم، فإن السلام دعاء، وهم بحاجة إلى من يدعوه لهم. وكذلك قوله: { برحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين } دعا لهم بالرحمة؛ وكان -عليه السلام- يقول: { اللهم اغفر لأهل بيته الغرقد } - يعني - البيع الذي دفن فيه الصحابة ومن بعدهم، اللهم اغفر لهم، ويقول في هذا الدعاء أيضاً: { اللهم لا تحرمنا أجراً ولا تفتنا بعدهم، وأغفر لنا ولهم } ففي هذا دعاء لهم بالعفو، وبالصفح عن الزلات، وبالمفترة، وبالرحمة. فيأتي إليهم أكبر كثير وهم بحاجة إلى الدعاء لهم. هذا مقصد، تذكر الآخرة، والدعاء للأموات، ثم لا يكون هناك شد رحل؛ بل يدعوه لهم، أو يزورهم من طرف البلد؛ وذلك لأن أهل كل قرية فيها مقبرة. لكل أناس مقبرة بفنائهم، فهم ينقضون والقبور تزيد فهذه المقبرة يأتي إليها قريباً ويسلم على أهلهما، ويدعو لهم، ويترحم عليهم، ويتذكر الآخرة، فاما شد الرجال؛ فلا يجوز - يعني - لا يجوز أن يرحل إلى قبر بعيد لأجل أن يدعوه له أو يتذكر الآخرة؛ بل يدعوه لهم ولو كان في أية مكان، يدعوه دعوة للمسلمين، ورد أنه -صلى الله عليه وسلم- قال: { لا تشتد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا و المسجد الأقصى } - أي - لا يجوز أن تعمل المطلي لأجل زيارة القبور؛ وسبب النهي: أنه ربما إذا زارها اعتقاد أن لها أهمية، وأن لهذا القبر الذي أتيتنا إليه من بعيد مكانة، وقد يعتقد ذلك أيضاً الجهلة؛ فيرحلون إليها من مكان بعيد، ثم يؤدي ذلك إلى عبادتها أو إلى الغلو فيها. ثم من شرط ذلك ألا يقول هُجْرَا - أي - ورد في الحديث { زوروا القبور ولا تقولوا هجرا } (والهجر): إما أنه الكلام السيئ، وإما أنه الندب، وما أشبه ذلك، كما إذا تذكر ميته؛ فأخذ ينوح، ويصبح ويدعو باللويل والثبور ويقول: وأخواه، واولاده. وما أشبه ذلك؛ فهذا قول السفهاء. وهذه سنة صريحة وإرادة في السنن المثبتة الصحيحة بهذه الشروط: أولاً: تذكر الآخرة. ثانياً: الدعاء للأموات. ثالثاً: عدم شد الرجال إليها. رابعاً: ألا يقول هجرا في زيارته.